

د عماد كريم الراوي
المرحلة العاشرة
المادة / تاريخ الدولة العثمانية
عنوان المحاضرة (ميزانية الدولة العثمانية)

دخل ومصروف الخزانة» تشابه «الحساب القطعي» لما تحقق من دخل ومصروف في خلال عام الميزانية. وعلى كل حال تعبر «الميزانية» و «الحساب القطعي» في الوقت الحاضر «ومحاسبة ايراد ومصروف الخزانة الغامرة» في الماضي عن شيء واحد هو دخل الدولة ومصروفها السنوي.

خصائص ميزانيات القرن السادس عشر
يحتفظ لنا القرن السادس عشر بخمس ميزانيات، أربع منها تحوى ارقام سنة تسبق سنة الميزانية، فيكون لدينا ٩ ميزانيات، وطالعة عنوانها مفيدة لفهم ما تمتنز به من خصائص. ففي مطلع ميزانية ١٥٨٢ يوجد ما ترجمته «محاسبة واردات ومصاريف الخزانة العاملة، عمرها الله تعالى الى يوم الاخرة عن ولاية روم ابلي والاناضول ومصر وبحلب والشام وأرضروم وقرمان وطمშوار مع الواردات غير المقررة اعتبارا من نوروز سنة ٩٩٠ هـ الموافق لـ ١٥ صفر الى نوروز ٩٩١ هـ الموافق لـ ٢٦ صفر بمعرفة من دفتر داري الخزانة العاملة ابراهيم جلبي افندي ومحبى جلبي افندي و محمود جلبي افندي دامت معاليهم».

فالميزانية وإن لم توجد الكلمة في مطلعها هي عبارة عن «اجمال» أو «جمل محاسبة دخل ومصروف الخزانة العاملة الحاصل من روم ابلي والاناضول والولايات التي عددها. أي إنها في الأصل هي الميزانية المركزية اي (نائب) ارسالية الولايات او بالاصح زائد الفاضل عن المصروف المحلي من حاصل الولايات. فدخل الولايات الكامل ومصروفها الكامل لا يوجد له في هذه الميزانية مكان. والتاريخ يفيد بأن الميزانية هي ميزانية سنة شمسية تبدأ في النوروز اي في ١١ آذار من سنة ١٥٨١ بينما النوروز بالنسبة آخر السنة لهذه الميزانية يصادف لـ ٢١ آذار سنة ١٥٨٢، لأن البابا غريغوار «صحح التقويم الجولياني» بان اختلاف اليه ١٠ أيام وذلك مجموع الفروق من الساعات والدقائق بين السنة الشمسية الحقيقة والسنة الشمسية الاعتبارة.

ولا تحتوي الميزانيات الا على الدخل النقدي والمصروف النقدي لخزانة الدولة. فكل شيء من نوع التيمار (سواء كان من نوع خاص او تيمار ثغر يوم انتسابه) لا يدخل الميزانية لانه دخل ومصروف متكافئ. ولكن الاجور النقدية والمشتريات بِإِسْمِ الدُّوَلَةِ، التي دفعت اثمنتها مقدماً من الخزانة او أحيلت على ملتزم في الولايات، فإنها تدخل الميزانية. وميزانيات القرن الثامن عشر سوف تغير الدفع بِإِسْمِ الخزانة، والجباية بِإِسْمِ

الخزانة، في البلدان البعيدة عن العاصمة، وتنذرها تحت اسم «محسوب» أو «ايراد - مصرف». إذ ليس من المعقول مثلاً أن يأتي جندي من حامية قلعة بلغراد إلى العاصمة ليتقاضى علوقة فتحيل المالية الدفع على ملتزم لأحد المقاطعات في مكان مجاور وتنزل من بدل التزامه المبلغ المدفوع. كما أن الخزانة، تقادياً لنقل المبالغ الأميرية، وتونبا لخطر السلب، كانت إذا ما أرادت إداء إثمان المشتريات من مستوعات بلد ما، توظف أميناً وتعطيه وصولاً تخوله تحصيل حاجته من أموال المقاطعات، من ملتزميها، فيدفع مثلاً في سلانيك إثمان ما يقتضي من جوخ ويبذل أجل ملبيوس الانتشارية.

ولم تعتن الدولة العثمانية بدخول التيمار في ميزانيتها إلا مرة في القرن السادس عشر، ربما لمعرفة مقدار الجندي، التيماري، والعلوقي، وتوزعه في البلاد.

وثمة وضع خطير هو كون الميزانية بالنسبة للدخل ميزانية سنة شمسية وكوتها بالنسبة للمصروف ميزانية سنة قمرية. وهناك فرق بين السنين هو ١١ يوماً. فالدولة تجبي أموالها على أساس السنة الشمسية وتوزعها على الجندي، بسبب دفع العلوفات، على أساس السنة القردية. فتختلف سنة قمرية كل ثلاثة وثلاثين سنة قمرية وجوب قبها الدفع، وتتأخر الجباية سنة، ويتدمر العلوقي الذي لم يتلق انتقاماً ثقافة سنة مضت فيثور، ومكداً تجر المشكلة المالية وراءها أزمات سياسية واجتماعية واقتصادية.

دخل الدولة العثمانية ومصروفها حسب ميزانيات القرن السادس عشر:

أرقام الميزانيات الخمس المعروفة مع أرقام سنة سابقة بالنسبة لاربعة منها:

(جدول ٤)

السنة الشمسية	الدخل	المصروف	السنة الشمسية	الفرق
٢٤ - ١٥٢٢	١١٦,٨٨٨,٣٨٥	١١٨,٧٨٣,٨٤٩	- ١,٨٩٥,٤٦٤	
٢٥ - ١٥٢٤	١٤١,٢٧٢,٦٥٨	١٣٣,٥٨١,٣٤٧	+١٤,٦٩١,٤١١	
٢٨ - ١٥٢٥	٢٧٧,٢٤٤,٧٧٣	٢٠٣,٢٠١,٩٣٠	+٧٤,٠٤٢,٨٤٢	
(النقدية)				
٤٧ - ١٥٤٦	٢٤١,٧١١,٨٣١	١٧١,٨٧٢,٣٥٧	+٦٩,٨٣٩,٥٧٧	
٤٨ - ١٥٤٧	١٩٨,٨٨٧,٢٨٤	١١١,٩٩٧,٤٤٩	+٨٦,٨٨٩,٢٤٥	
٦٧ - ١٥٦٦	١٨٢,٠٢٢,٤٠٠	٢٠٧,٩٣٢,٥١٦	- ٢٥,٩١٠,١١٦	
٦٨ - ١٥٦٧	٣٤٨,٥٤٤,١٥٠	٢٢١,٥٣٢,٤٢٣	+١٢٧,- ١١,٧٧٨	
٨٢ - ١٥٨١	١٩٨,٧٣٨,٨٤٨	٤٥٠,١٦٥,٧٢٠	- ٥١,٤٣٦,٨٧٢	
٨٣ - ١٥٨٢	٢١٣,٧٤٤,٦٤٥	٢٧٧,٥٧٨,٧٥٥	+٣٩,١٦٥,٨٩٠	

يلاحظ ارتفاع في الدخل والمصروف مع تقدم الزمن ولكن هناك ارتفاعاً وانخفاضاً أكبر بين أرقام الدخل بالنسبة لارقام المعرف. ويرجع هذا إلى عدم الاستقرار وعدم اتباع قاعدة معينة في ترتيب الدخل، كما أن الأوضاع السياسية (من حروب) تجبر الحكومة إلى جبائية ضرائب من نوع العوارض أو تضطرها إلى الاقتراض من الخزانة الداخلية، كما أن حلول سنة ازدلاف أو لاقترابها ما للحروب من أثر على الميزانية. وقد يدخل الدفتر دار دخل الولايات ومصروفها بكامله في الميزانية (ميزانية ١٥٢٧ - ١٥٢٨) أو يدخل فائض دخل الولايات عن مصروفها (ميزانية ١٥٨١ و ١٥٨٢) أو لا يدخل منها شيئاً (ميزانية ١٥٢٣ و ١٥٢٤). وقد يدخل بين أرقام دخل ميزانية سنة ابتداء بعض الولايات دون غيرها ولا نجد لهذه الولايات ذكراً في ميزانية أخرى، والدفتر دار يعد للمبالغ الواردة من الولايات التي فيها دفتر دار مستقل من نوع «الواردات غير المقررة» فهي و «ضرائب العوارض» من نوع واحد (بالنسبة لقرن السادس عشر). ومن بين الأسباب التي تؤدي إلى الفروق بين أرقام الدخل أضافة أرقام زوائد أوقاف المسلمين والوزراء إلى إيراد الخزانة في بعض السنين دون غيرها كما هو الحال بالنسبة لميزانية ١٥٨٢ وحاصل «المواريث الحشري» أي «بيت المال العامة والخاصة» حسب المصطلح العثماني.

فيبيت المال العامة هو مواريث العامة من الناس وبيت المال الخاصة هو مواريث الخواص من من له علاقة بالدولة من أمير أو جندي أو ملتم.. ومن مات ولم يترك وارثاً. فإذا أردنا أن نقارن بين أرقام الدخل الفعلي للستين التي تعود الميزانيات إليها، علينا أن ننقص منها أرقام دخل ولاية روم ايفي وولاية الاناضول، ونقارن بين بعضها، فإن الميزانيات هي في الأصل ميزانيات هاتين الولاياتين اللتين كانتا تشكلان نواة الدولة قبل سليم الأول. والجدول التالي يعطي أرقام جبائيات كل دفتر دار للولايتين المذكورتين حسب الميزانيات.

جدول رقم (٥)
دخل ولايتي روم ايل والاناضول

الإذاعات سول روم ايل سلسي

دفتردار ثالثي	دفتردار أول	دفتردار ثالثي	دفتردار أول	السنة
٢٠,٢٨٣,٠٤٨	٢١,٦٩٩,٠٩٦	٦٥,١١٨,٠٧٩	١٥٢٣	
١٨,٤٩٢,٥١٢	٢٤,٧٩١,٨٩٩	٦٦,٠٥٩,١٤٠	١٥٢٤	
٣٣٤,١٦,٢٨٨		٩٦,٧٨٤,٢٣٨	١٥٢٥	
٧٣,٣٧٨,٨٧٦	٩٣,٣٧٨,٣٨٣	٦٤,٥٧١,٦٢٥	١٥١٦	
١٣,٧٧٠,٤٧٣	١٩,٢٩٩,٨٣٤	٥٤,٠٠٣,٧٣٥	١٥١٧	
٤٠,١٩١,٠٩٧	٤٦,٣٧٩,٦٦٢	٦٧,٩٥٣,٠٠٠	١٥٦٦	
١١,٥٠٩,١٢٩	٣٥,٧٥٦,٩٨٣	٧٩,١٤٣,٦٣٦	١٥٦٧	
	٢٠,٧٧٧,٨٧٩	٦٦,١٣٦,٨٩٦	١٥٨١	
	٢٩,٣٥٣,٩٢١	٦٥,٠٩٩,٦٦٣	٧٩,٨١٨,٤٢٢	١٥٨٢

وترتيب الدخل على هذه الطريقة يساعد في تخفيف الفروق بين الأرقام. على كل حال فإن ميزانية ١٥٤٧ وضعا خاصا، فارقامها منخفضة بالنسبة للميزانيات السابقة واللاحقة، وأرقام ميزانية ١٥٦٦ و ١٥٦٧ مرتفعة نسبيا. ولعل للازدلاف أثرا في دخل سنة ١٥٤٧.

هذا وقد وجدت ميزانية ١٥٦٦ و ١٥٦٧ في مخطوط في مكتبة عاطف افندي، الذي كان نفسه دفتردار. وهذه الميزانية من حيث أرقام الدخل (الصافي للأناضول وروم ايل أو غير الصافي مع دخل الولايات والضرائب غير المقررة) أضخم ميزانيات القرن السادس عشر، والسبب يعود لكونها ميزانية سنة اعتلاء سليم الثاني العرش في ١٥ ربیع الأول / ٩٧٤ هـ (٢٠ أیولوی ١٥٦٦). اذ يجب على السلطان الذي يتسلم العرش أن يعطي الجيش «حلوان الجلوس».

(١) مع دخل قرمان وولاية الروم ونو القادرة.

اما مقدار الحلوان فكان حوالي الفي آنجة للجندى. وعلى الرغم من وجود عجز مقداره ٢٥ مليون آنجة في ميزانية ١٥٦٦ يذكر الدفتردار انه انتقل من هذه الميزانية الى الميزانية التي أعدتها لسنة ١٥٦٧ (١١٩,٢٣٥ آنجة) مما يدل على أن السلطان استنفذ ما في الخزانة الداخلية بسبب تسليمه العرش في العام السابق.

ولا يوجد في ميزانية هذا العام (١٥٦٧) ضريبة عوارض ولا «رسوم تجديد البراءات» بسبب الجلوس. وكما كان السلطان يدفع البخشيش كان يأخذ رسم براءة من كل صاحب براءة ليقره على منصبه أو مهمته. وفي الميزانية ٥٦,٠٠٠ سكك حسنة من مصر و٢١٦ ٢٩٩ من حلب والشام و٨٠٠٠ حسنة عن جزية أمراء قبرص تبلغ قيمتها ٣٠٠٠ ٥١,١٤١,٢٨٤ آنجة عددها من الاموال المقررة، بينما يذكر ١٧٦٩٣٠٠ آنجة (١,٧٩٧,٢٨٠ ذهب) من ديار بكر و١,٧٢٢,٧٤٤ آنجة (٢٩,٠٠٠ ذهب) من اليمن وآنجة (٤٢,٩٣٢ عرشا) من خراج التمسا و٣٩٦٦٨ آنجة من عوارض الاناضول وديار بكر وروم ايليا بين الاموال غير المقررة، وهذه المبالغ ربما كانت جدية قد وصلت الخزانة مؤخرا.

ونورد فيما يلي جدول بالواردات غير المقررة في ميزانيات القرن السادس عشر مع مقادير ما هو منها من العوارض والنزل، وما انتقل من سنة ماضية، مع ملاحظة اننا لا نجد فيها شيئاً من واردات الخزانة الداخلية.

جدول رقم (٦)

السنة الماضية المائل من حساب المنزل	العوارض والنزل منها	مجموع الواردات غير المقررة	سنة الميزانية
٥٨٨٠٨٢	٨١٩٥٠٣٣	٩٤٨٨١٦٩	٢٤_١٥٢٣
=	٢٧٤٥٥٧٢١	٢٨٦٦٥٩٦٣	٢٥_١٧٢٤
-	-	-	٢٨_١٧٢٧
-	-	١٧٦٢٨٣٩٤	٦٧_١٥٦٦
١١٩٥٠٩٢٢٥	٨٣٩٦٠٦٨	٣١٥٢١٣٢١	٦٨_١٥٦٧
-	-	٢٥٨٣٣٨٠٨	٨١_١٥٨٠
٣٤_٩٤٦٩٨	٤٠١٤٧٦٢٣	٤٧٨٣١١٨١	٨٢_١٥٨١